رواية تنكرد

تمهيد للمترجم

اقترح علينا غير واحد من قرّاء المقتطف ان ننشر فيه رواية فكاهية تهذيبية يستفيد منها الخاصة والعامة ويرتاحون الى مطالعتها. فرأينا ان نجيب هذا الطلب من غير اختصار في المقالات والبحث الفلسفية والعلمية ونحوها مما ينشر في المقتطف وذلك بان نزيده ست عشرة صفحة كل شهر لهذه الغاية. وغني عن البيان ان تأليف الروايات كنظم الشعر ورسم الصور متوخوه كثار جداً ولكن الناجحين فيه قلال. واذا كان المرء مختاراً فخليق به ان يختار الافضل من كل شيء. ونحن اذا ترجمنا المقالات العلمية والفلسفية عن الاوربيين والاميركيين اخترنا مقالات اشهر علمائهم واكبر فلاسفتهم واقتصرنا منها على ما له الوقع الاعظم عند اهله. وهذا يجب ان يكون شأننا في الروايات ولذلك اخترنا لهذا الجزء والاجزاء التالية رواية من ابلغ ما كتبه نابغة الكتّاب دزرائلي لورد بيكنسفيلد الذي فتن العقول ببلاغة انشائه كما اخلب الالباب بسياسته ودهائه. وهي رواية تنكرد Tancred المشهورة في اوربا واميركا. وسيرى القراء عند مطالعة فصولها انهم في حضرة وزير خطير بل حكيم كبير يتلو عليهم آيات الحكمة ويرشدهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب. وسنبذل الجهد في التعبير عن معاني المؤلف بالفاظ معروفة وتراكيب مألوفة لكي لا تضيع الفائدة على احد ولو كان من عامة القراء. ولا نهمل منها الا بعض فصول هزلية او انتقادية ادمجها المؤلف في روايته لتفكيه القراء وانتقاد بعض خصومه في السياسة ويتعذر فهمها لو نقلت الى العربية لارتباطها باحوال غير مألوفة عندنا والناس قلما يعلم شيء من امرهم. وسننشر من فصول الرواية في كل جزء ما تتم به الفائدة ويحسن السكوت عليه الى ان يصدر الجزء التالي ونعلق عليها من الحواشي ما تمس الحاجة اليه. وقد فضلنا الترجمة على التأليف الى ان يتيسر لنا وضع رواية تفي بما نتوخاه

الفصل الاول

كان دوق بلامُنت في الطبقة الاولى بين امراء الانكليز من حيث مقامه وثروته ونسبه ولم يكن جدّه من الامراء ولكن وريثة بيت منتكيوت دوق بلامُنت احبته واقترنت به فاقتبس

اسمها ولقبها(١) وكان مقداماً عالي الهمة ولما آلت اليهِ اموالُ زوجتهِ وثروتها الوافرة زاد همةً واقدامًا فعزم ان ينال القاب آل زوجته كما نال ما لهم من الاموال والاملاك. وكان الزمان مساعدًا لهُ لانهُ تزوَّج وقت الحرب الاميركية وكان نائبًا عن بلدهِ في مجلس النواب ولهُ فيهِ خمسة اصوات تحت امرهِ عدا صوتهِ فعضد بها الملك ووزراءهُ ولولاهُ ولولا هذه الاصوات لانقضت الحرب بين انكلترا ومستعمراتها حالاً. فانعم عليهِ الملك بلقب ارل بلامنت وفسكونت منتكيوت (وهما من الالقاب التي كانت لآل زوجتهِ)

والغالب ان الارتقاء في رتب المعالي لا يتيسَّر كلهُ للرجل الواحد بل يبلغ منهُ زيد نصيباً ويأتي ابنهُ فيزيد عليهِ لكن ارل بلا مونت هذا ولد ونجمهُ في سعد السعود فلم يكن الاَّ قليل حتى نشبت الثورة الفرنسوية على اثر الحرب الاميركيَّة وكانت نتيجة عنها فمهدت لهُ السُبل لزيادة الارتقاء لان الوزير بت(٢) اضطرَّ الى معونتهِ فجاد لهُ بها مشترطاً ان يُمنَح كل ما كان لآل زوجتهِ من الرتب والالقاب. وشقَّ على الملك ان يجود عليهِ بها حاسبًا انها حقٌّ شرعي لآل البيت انفسهم فيعطيها لابنهِ لا لهُ بحق الارث من امهِ ثم اضطرَّ ان ينقاد الى رأي وزيرهِ ومنحهُ كل تلك الالقاب فصار دوق بلامنت ومركيز منتكيوت وارل بلامنت وداكر وفلوري الاَّ انهُ منع عنهُ وسام ربطة الساق(٣)

وكان هذا الدوق وزوجتهُ من اجمل الناس خلقاً واكثر الازواج تحابًّا وولد لهما ولد واحد فتزوجاهُ حالما بلغ سن الرشد لكي يولد لهُ اولاد يرثون تلك الرتب والالقاب. والمرجح انهما لو لم يتسرَّعا في تزويجهِ لكان ذلك ادنى الى نيل ما تمنياهُ. فولد لهُ ولد واحد وهو دوق بلامونت الحالي وقد ورث الذكاء عن جدهِ والدعة عن امهِ ولكن كانت تعوزهُ الهمة واصالة الرأي وكان ابوهُ يكرههُ ويفار منهُ فيشدد النكير عليهِ لاقل سبب او لغير سبب وهو يقف امامهُ متلجلجاً لا يحير جواباً ولا يبدي عذرًا ولو لم يكن ملومًا في شيء. ثم اذا خرج من حضرتهِ لعن الساعة التي ولد فيها ضعيف الحجة قليل الكلام يُهضَم حقهُ وحق امه فلا يجد ادلة الدفاع ولو لا ذلك لدافع عنها وعن نفسهِ. والغالب ان من كانت هذه حالهُ تشكس

(١) الشائع عند الانكليز ان المرأة تتزوج باسم عائلة ابيها وتسمى باسم عائلة زوجها فاذا كان اسم عائلة ابيها سمث واسم عائلة زوجها هوَرد سميت مسز مورد اولادي مورد او كرنفة مورد او دوقة مورد حسب مقام زوجها ولكن اذا كانت هي الوريثة الوحيدة لبيت ابيها فلا يقدر ان يترك زوجها اسم عائلتهِ ويسمى باسم عائلتها اذا اشترطت عليهِ ذلك

(٢) هو الوزير وليم بت من اعظم وزراء الانكليز وولي الوزارة في اواخر القرن الماضي

(٣) هو من اسمى وسامات الشرف في البلاد الانكليزية

اخلاقهُ وتفسد آدابهُ اما هو فبقي على دعتهِ وعفتهِ. وتوفيت امهُ قبلما بلغ اشدَّهُ فوقع موتها عليهِ اعظم وقع ولم يشاركهُ ابوهُ في حزنهِ ولا حاول تعزيتهُ بل اخذ يبذل جهدهُ في اهانتهِ وتحقيرهِ ومنعهُ من الظهور بين الناس ومنع عنهُ المال اللازم لنفقاتهِ وكان قصدهُ ان يتزوج امرأة اخرى ويبقي الارث الى نسلها. ولو فعل ابنهُ مثل غيرهِ من اولاد الامراء لاستدان من المرابين واحالهم عليهِ فابتزَّ منهُ الاموال غصباً ولاهانهُ باتخاذ الخطايا وخدعهُ في سباق الخيل وختلهُ في الانتخابات العمومية لمجلس النواب. هذا ما يفعلهُ كل عتوق من اولاد الامراء لكن هذا الشاب لم يكن منهم ولا اراد الجري في خطتهم لدعتهِ وافتهِ فانهُ كان يحسب ان ابن متكيوت يجب ان يترفع عن الدنايا وقد نسي ان جدهُ لم يكن من هؤلاء القوم بل هو دخيل فيهم لكن الناس نسوا ذلك على ما يظهر فنسيهُ هو ايضاً وباهى بالشرف الذي نالهُ جدهُ كأنهُ من بيت متكيوت الذين ورثوا المعالي كابراً عن كابر مدة سبعة قرون. وصبر على الضيم صبر الكرام ولسان حالهِ يقول

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنا ركوب الجنازه

نعم الموت خير من الوقوع في ايدي المرابين وشراك الغواني والخل والمخادعة. ولما رأى ان لا منجاة لهُ من كره ابيهِ ولا معزي عن حزنهِ على امهِ لجأ الى تعزية الحب فاحبَّ ابنة خالهِ وهو من امراء الانكليز ايضاً داره في شمالي ارلندا حيث لا سبيل الى الملاهي لكن طبيعة البلاد تثرج الكروب. وكانت هذه الفتاة واسمها كاترين على جانب عظيم من الجمال فاحبتهُ واحبها وعطف عليهِ خالهُ وزوجتهُ لما رأيا اقصاء ابيهِ لهُ

وطلب من ابيهِ ان يأذن لهُ في تزوج ابنة خالهِ فانكر عليهِ ذلك لانهُ كان يكره عائلة زوجتهِ ويود ان يبقى ابنهُ عزباً لكي يتزوج هو وينتقل اسمهُ والقابهُ الى نسل زوجتهِ الثانية. الاَّ ان الحب يقوي الهمم الضعيفة و يذكي الفؤاد الخامل فعزم هذا الولد ان يقترن بابنة خالهِ رغماً عن ابيهِ وبينما هو يدبر التدابير لذلك جاءهُ نعي ابيهِ وكان يحسب انهُ يعمّر عمر نوح لصحة جسمهِ وجودة بنيتهِ فصار دوق بلامنت ومركيز متكيوت الى غير ذلك من الالقاب في ساعة واحدة وكان غض الشباب كما تقدم قليل الخبرة الاَّ انهُ كان كبير النفس دقيق النظر حسن الخيال وكان يحسب امهُ مثالاً للطهارة والكمال ويحب ابنة خالهِ لانها تشبهها فقال في نفسهِ ان رزقني الله مولوداً كفَّرت عن سيئات ابي اليَّ بعطفي على ولدي

واقتنع مما رآهُ في احوال اهل زمانهِ ان معيشة اهل السيادة والجاه مشحونة بالطيش والخلل والشر والجهل فعزم ان يجتنبها بكل جهدهِ وساعدهُ على ذلك ما رُبي عليهِ من الزهد

والابتعاد عن الناس . وكان شديد الشعور بما يجب عليه لملكه وبلاده لكن الزمان كان زمان سلم وسكينة فلم تدعه الحال الى اظهار ما يكنه فؤاده من الشعائر الوطنية ولذلك قصر همه على الاهتمام باملاكه الواسعة ووجد في ذلك راحة وسلوى فتدمثت اخلاقه وجلي صدأ الهموم عن نفسه فصار بشوشاً انيس المحضر كأنه كان يقتدي بالطبيعة في بهجتها . واحب رجال ايالتو(٤) واقاموا على ولائه . وكانت هذه الايالة كبيرة غنية مثل مملكة من الممالك الاوربية الصغيرة فيها القصور الباذخة والقلاع الحصينة والناس فيها قيام على خدمته لا يطلب شيئاً الا جاءوه به . لكنه لم يكن من اهل التنعم والطيش فلم يستهوه منصب ابيه ولا ابطرته هذه النعمة بعد ان كاد يحرم منها كأنه لم يذق الفاقة ولا خبر الاقصاء . وجرت زوجته مجراه في ذلك بعد ان رضيت به زوجاً لها وهي تحسب ان اباه سيحرمه من ميراثه . وكانت من اجمل نساء عصرها نحيفة القد بشوشة الوجه تلوح على محياها امارات الذكاء المفرط وعلى فمها دلائل الحزم وسداد الراي . وكانت من قوم لا تأخذهم الاهواء فيبروا الامور واقرؤا على راي فيها لا يحيدون عنه ووضعوا لاعمالهم واحكامهم قواعد لا يتعدونها . فجعلت همها مطالعة الكتب التي تؤلف في نصرة مذهبها تزيد به تمسكاً عن اخلاص لا عن تعصب وعن عقل لا عن هوى وهذا كان شأنها في كل الامور تصلب في الرأي وعدل في الحكم اعتزاز بالمناصب وتحمل للمتاعب و بغيتها كل ما يأول الى مجد الله وخير القريب

وواضح مما تقدم ان دوق بلامنت وجد في زوجته كل ما كان يتمناه من الزواج . وكانت هي فوق ذلك تشعر من اهل القصوف الذين كانوا يتوددون اليها لتنتظم في سلكهم فكانت تقيم هي وزوجها في قصر منكيوت اكثر السنة يهتمان بشؤون ايالتهما هو في تنظيم الاحكام وادارة الاملاك والصيد والقنص وهي في انشاء المدارس وتوزيع الصدقات ومقابلة الزوار ومطالعة الكتب وزرع الازهار والرياحين ثم اذا اجتمع تجلس الاعيان اضطرا ان ينزلا الى مدينة لندن وطها فيها قصر بلامنت وهو من اثمر القصور واوسعها داراً فيفتحانه للولائم الفاخرة يدعوان اليها امراء الانكليز من ذوي قرباهم واعيان البلاد الذين لهم منازل في المدينة . ويوليان وليمة فاخرة كل سنة لبعض امراء الاسرة المالكة ويُدعوان لتناول الطعام في قصر الملك ولا يخرجان ليلاً الا لدعوة فيه واذا دعيا الى مكان آخر اعتذرا عن الذهاب اليه ولذلك لم يكن اهل لندن واعني بهم جمهور الامراء والكبراء واهل الرفاهة والترف يعرفون من امر دوق بلامنت وزوجته سوى انهما ينزلان الى قصرهما في المدينة وقت اجتماع

(٤) الايالة (كوتي) بلاد مستقلة في احكامها الداخلية يحكمها الدوق او الكونت

البارلمت وبقيهان فيه نحو ثلاثة اشهر وان لها قصراً في ايالتهما من اعظم القصور التي تباهي بها البلاد الانكليزية ولكنهما لم يحتفلا بهما في وليمة ولا رأوهما في مرقص

وولد هذا الدوق ولد واحد كما ولد لابيه وجدوكان في ذلك البيت ناموساً طبيعياً يقضي عليه بان يكون اولاده فرادى . ومن حين وُلد هذا الولد انصرف همّ والديه اليه كأنهُ غرضهما الوحيد من الدنيا . فلم يُعتنَ بخلوق كما أُعتني به من حين ولادته الى ان بلغ سن الرشد . وارسلهُ والداهُ الى مدرسة إتُن في حداثته وأرسلا معهُ معلماً خاصاً ليعتني به لكن فشت الحمى القرمزية في تلك المدرسة فأخرجاهُ منها حالاً . ولما بلغ الثامنة عشرة أرسلاهُ الى مدرسة كسفرد وكانت امهُ تكاتبهُ كل يوم ثم رأت ان ذلك لا يكفي فمضت الى اكسفرد هي وابوه واستأجروا داراً اقاما فيها

الفصل الثاني

قال المستر كسل رأيت اسكدايل ذاهباً الى قصر دوق بلامنت لان الاستعداد عظيم هناك احتفالاً ببلوغ ولده سن الرشد . فهل يعلم احد شيئاً من امر هذا الولد

وقال المستر ارمسبي كم دخل[٥] ابيه في السنة

فقال اللورد فتزهرن يقال انهُ غير مديون

وقال اللورد ملفورد لا شبهة في ذلك وعندهُ كثير من النقود ايضاً لانهُ لا يعمل شيئاً

فقال لورد فالتين انهُ يعمل كثيراً في ايالته

فقال لهُ لورد ملفورد اني لا احسب ذلك شيئاً وانما غرضي انهُ لا يلعب فلا يراهن ولا يقامر ولم يعمل شيئاً يذكرهُ الناس

فقال لورد فالتين هو ذو قرابة لي ونحن ذاهبون لحضور الاحتفال ببلوغ ابنهِ سن الرشد لاننا من جملة المدعوين

فقال لهُ احد الحضور اذاً اخبرنا شيئاً عن هذا الولد . فاجابهُ اني لم ارهُ قط ولكن امهُ اخبرت امي انها لم تر منهُ في عمرهِ كلهِ ما اغاظها . فضحك الحضور كلهم لما قال ذلك وقال المستر ارمسبي انهُ سيعوّض عما فات . وقال لورد ملفورد لا احد يتورّط في الورطات الكبيرة مثل الولد المدلّل . تعال بنا الى هنا يا فالتين لكي يتعلم ما ينقصهُ علمهُ

(٥) الدخل ما دخل عليك من ضيعتك وهذا هو المعنى المراد هنا

فقال ان مضيت انى هناك عرضت عنيد طلبكم

فقال كل لماذا تقول ان مضيت فان ما يشاهدهناك في مثل هذه الخان يستحق الذهاب لانهم يشوون الثيران وفي حية ويلبسون الاسلحة البديعة ويخرج بنات القرى ويسابقن كأنهن في ملعب

فقال لورد فتزهرن أحدث مثل ذلك وقت بلوغك

فقال نعم وقد احتفلت بهِ في برّيطان وكان الملك حاضراً وكان لم يزل غائباً فشرب نخبي وخطب خطبة لها اول وليس لها آخر وكان ابوك هناك فاسأله عما جرى ولكن النكتة ان ابي كتب اليّ بعد ايام يقول انهم احتفلوا ببلوغي في البيت وبلومني لانني لم احضر ثم وجدت انني انا احتفلت ببلوغي سن الرشد في غير يوم ميلادي

فهل اخبرتهم بذلك

كلاّ خوفاً من ان يحتفلوا بهِ مرة ثالثة

فقال لورد ملفورد اظن دوق بلامنت صارماً وهذا شان كل اب لم يعوزهُ المال

فقال لورد فالنتين كلاّ بل هو رجل ظريف على ما يقول اهلي اما انا فلا اعرف شيئاً من امره لانهُ لا يخرج من قصره

وقال لورد ملفورد وانا ايضاً لم ارهُ ولا رأيت اهلهُ فهل عندهم بنات

فاجابهُ واحد كلا

فقال هذه مصيبة فانهُ لو كان عندهم ابنة لاعطوها شيئاً من الميراث كما في العادة غالباً

فقال لورد فتزهرن نعم مثل لادي بلانشي بكرستان فان ابا اعطاها مئة الف جنيه

فقال لورد فالنتين أهذا المقدار وهي من الجميلات ايضاً

وقال لورد ملفورد اخطأت في تقدير المبلغ لانني بحثت عن ذلك بالتدقيق فوجدت انهُ لم يعطها سوى خمسين الف جنيه

وقال ارمسبي يجب ان تنصفوا المبلغ دائماً في مثل هذه الحال

فقال لهُ لورد ملفورد اذاً دخلك عشرون الف جنيه في السنة يا ارمسبي لان الناس يقدرونك باربعون الف جنيه

فقال ارمسبي لا بدَّ لنا من ان نكثر مكاسبنا في هذا الزمان لانهُ ما دام مثل دوق بلامنت امامنا فنحن الصغار لا نبين الاّ بدراهمنا

فقال لهُ لورد ملفورد تعالَ اخبرنا كم تدفع للحكومة كل سنة على دخلك فانهُ يقال ان

السر روبرت[٦] خجل لما اطلع على ما تدفعهُ وقال انه تهب

فقال ارمسبي اراكم ايها الشبان لا تتكلمون الاَّ عن المال . يجب ان تهتموا بامور اسمى من ذلك

فقال لورد فتزهرن ترى بمن يهتم لورد منتكيوت[٧] في مثل هذا الوقت

فقال كل لا يهتم باحد لان كثيرات يهتممن بقر فيجب عليكم ان تتيقظوا والاَّ غلبكم

فقال لورد ملفورد انا اقتش عن واحدة غنيَّة فلا خوف من ان يناظرني لانكم تقولون انهُ لا يهتم بالمال

وقال لورد فالنتين وانا لا اتزوج الاَّ بواحدة تحبني واحبها فلا اخاف من مناظرته

فقال ارمسبي اذا كان هذا الشاب لا يطلب ابنةً غنية فالابنة الغنية تطلبهُ ولا تزال تجدُّ وراءهُ حتى تجدهُ وهي مثل البرطيل يرفضهُ الانسان اول مرة بانفة ولا يمضي الاَّ القليل حتى يقبلهُ و يصير يطلبهُ

فقال لورد فالنتين ليس اقبح من ان يتزوج الانسان لاجل دراهم زوجته وهو في غنىً عنها

الفصل الثالث

حراج مُنتكيوت اسم يطلق على بلاد واسعة الارجاء سابغة النعماء كانت حراجًا تقطعت اشجارها وردمت اغوارها . وزرعت سهولاً وحبوتًا . ومرعًى خصيبًا . فترى فيها الرياض الانيقة . والزروع الغضيضة . بينها القرى والدساكر كانها اللآلئ نثرت على بساط من الديباج . ووراءها آكام تنطاح السحاب تغطيها الاشجار النياه من بقايا الحراج . وقد صافحت يدُ الصناعة يد الطبيعة فيها فهدت شجونها وسهلت حزونها . وابقت على معاهد الغني ومسارح الغزلان . وجعلتها متنزهًا لابن آدم ومستزهًا لطالب السلوان . تراكَ جآذرها فترمقك بمقلة كحلاء وتشرف عليك ايائلها كانها ملوك رآها امر الدخلاء

وفي وسط هذه الرياض بلد يتوج بالسكان وهم دئبون على العمل فمن رجل يسوق مركبتهُ ومن امرأة تحمل سلتها والبيوت كبيرة من الحجر النحيت والشوارع رحبة مرصوفة بالبلاط الصقيل وبينها كنيستان تخيمتان احسن البناؤن رسمهما واعلوا منارها احداهما قديمة العهد والاخرى بناها

(٦) هو السر روبرت بيل الوزير الانكليزي الذي فرض على كل انسان ان يدفع للحكومة مبلغًا معينًا من دخلهِ السنوي

(٧) هو ابن دوق منتكيوت لان بكر الدوق يلقب لوردًا الى ان يرث ابالهُ

الدوق الحالي وبني ايضاً منتدًى لاجتماع السكان وانشأت زوجتهُ دارًا للخطب العلمية والادبية وساحة كبيرة جرَّت اليها ينبوعاً غزير الماء . وترتفع الارض رويداً رويداً عند طرف هذا البلد الى ان تصل الى اكمة عالية عليها قصر متكيوت بابراجهِ الشاهقة ودوره الفسيحة وهو مبانٍ قديمة بنيت في قرون كثيرة من ايام الملوك القدماء تكتنفها الحراج والرياض وتطوف بها الغزلان والاراوي الى ان تجيء الى الحدود الفاصلة بين هذه الايالة وغيرها من ايالات بريطانيا

وحدث ذات يوم والشمس في الحمل ان الدوق كان جالساً في غرفتهِ والقلم في يدهِ وزوجتهُ واقفة امامهُ وهو ينظر اليها بوجه ملؤهُ بهجة وحبور وهي تضع يمينها تارةً على كتفتهِ وطوراً على ظهر كرسيهِ وفي يسارها منديل تمسح بهِ دموع الفرح من عينيها

ثم قالت "هذا اكثر مما كنت انتظر"

فقال الدوق "نعم وقد فعل ذلك على احسن اسلوب"

فقالت "الاجدر بنا ان لا نخبر ولدنا الآن لئلاَّ يغلب عليهِ الفرح"

فقال "احسنتِ يا عزيزتي بل نبقيهِ الى ما بعد الاحتفال"

فقالت "ارى يا حبيبي اننا اوتينا من السعادة اكثر مما نستحق"

فنظر اليها وقال وهو يتبسم اما من حيث الاستحقاق فانت تستحقين اضعاف هذه السعادة . ثم عاد الى كتابة الكتاب الذي كان يكتبهُ جواباً لخطاب ورد عليهِ من المستر هنجرفرد وقد قال فيهِ "ان لورد متكيوت قد بلغ سن الرشد الآن فصار يمكنهُ دخول البارلمنت ولذلك فانا اترك لهُ منصبي فيهِ عن طيب نفس وقد قبلت هذا المنصب قبلاً اكراماً لحضرتكم اما وقد بلغ نجلكم سن الرشد وصار يمكنهُ ان ينوب عنكم في ايالتهِ في مجلس النواب فانا وكل اهل الايالة نعتقد انهُ الرجل الجدير بأن ينوب عنا . هذا فضلاً عن اننا نود دخول الشبان ليقوى بهم مجلس النواب"

ثم قال الدوق ما احسن اسلوب هذا الرجل في عرضهِ هذا المنصب على ابننا

فقالت زوجتهُ نعم وهذا صدى ما فعلتهُ انت معهُ فانك عاملتهُ احسن معاملة كما يعترف من فمهِ شأنك في كل معاملاتك مع الناس

فقال نعم وما كنت اريد ان يتخلى عن منصبهِ الاَّ عن طيب نفس لانهُ هو وعائلتهُ من افاضل الناس . ويسرني جداً ان اراهم يحلون هذا المنصب لابني وهم غير راضين بذلك تمام الرضى

فقالت يظهر انهم كلهم راضون بذلك ألا ترى ما يقولهُ لك في كتابهِ . وانا اوافق

هذا الرجل على قوله ان ابن منتكبوث هو الرجل الجدير بان ينوب عن هذه الامة في مجلس النواب ولو لم يتح له عن هذه النيابة لرأى من نفسه انه يجلس ابنا حقه

فقال الدوق ان من كان مثل هنجرفرد ومن كانت عائلته مثل عائلته قديمة في البلاد لا يرتجى من الغنيمة بالاياب ولذلك فقد فعل ما فعل عن كرم اخلاق وطيب اعراق

فقالت زوجته وسنريه انا نقدره قدره فمتى اتى هو وعائلته يوم الخميس القادم نعاملهم مثل اعز اصدقائنا

ثم التفت اليها وقال هاك كتابًا آخر من اخيك وهو يقول فيه انهم آتون كلهم غدًا

فقالت زه زه هذا الذي اودّه فاني اريد ان يرى ابنا كاترين قبلا يكثر علينا الزوار وانا واثقة انه يحبها من اول نظرة وكونها ابنة خاله لا يمنع اقترانها كما لم يمنع اقتراننا

فنظر اليها الدوق وقال هذا اذا كانت تشبهك كما تشبهين انت خالتك اي. فقالت هي مثلي تمامًا في الوجه والطبع والقامة

فقال اذًا قد تحققت السعادة لابننا

قالت نعم يبلغ سن الرشد ويدخل البارلمنت ويقترن بابنة خاله وذلك كله في سنة واحدة. ما اسعد هذه السنة

فقال ولكن لم يتم شيء من ذلك حتى الآن

فقالت الله كريم وسيتم كله ان شاء الله

فقال لا احب ان تتعجل في تزويجه

فقالت وانا لا اريد ان يتزوج قبل فصل الخريف في الوقت الذي تزوجنا فيه نحن

الفصل الرابع

بزغت اشعة الشمس على اقواس القصر وهي موتورة فوق كل طريق واكاليل الظفر وهي معقودة على كل بيت واعلام المجد وهي تخفق فوق كل برج ومنار . وتواصل قرع الاجراس حتى لم يعد المرء يسمع كلامه ثم أُطلقت المدافع وعزفت آلات الطرب وتقاطر الناس افواجًا افواجًا فرسانًا ومشاة وفي طليعة كل فوج امير على صهوة جواده ووراءه كوكبة من الفرسان يموج ريش النعام فوق خوذهم وتتألق سيوفهم على جوانبهم

وكان بعض المدعوين قد وفدوا الى قصر منتكبوث قبل ذلك بايام وفي مقدمتهم خو الدوقة وزوجته وابنتها لادي كاترين التي خطبتها خالتها لابنها على غير علم منها ومن والديها لتكون

الدوقة الثالثة في قصر بلامنت من بيت ابيها . وهي حريّة بذلك فان بطلعتها كانت تدل على انها مولودة لتتبوأ اعلى مناصب الشرف والسيادة. ثم جاء لورد اسكديل من ايالته المجاورة لايالة منتكيوت وهو ابن خالة دوق منتكيوت وكان الدوق وزوجته يستشيرانه في كل امورهما ولا يقطعان خيطاً بغير رأيه وهو الذي اشار عليهما بارسال ابنهما الى مدرسة اتن ثم الى مدرسة اكسفرد. وكان الدوق يثق به ثقة تامة ويُعجب بعلمه وخبرته وكذلك الدوقة زوجته كانت تثق به لكنها كانت تخالفه في بعض الآراء فلا يلجأ الى الجدال معها بل يجاريها على آرائها او يغضي عن اثبات حجته حاسباً ذلك اقرب الى المسالمة في معاشرة النساء لانه كان من ابرع الناس في معاشرتهن مهما كانت طبقتهن. ولم يكن يمضي اسبوع الاّ ويأتيه كتاب من دوق بلامنت يستشيره فيه و يطلب رأيه في امور اشكلت عليه وكان هو يكره كتابة المكاتيب فيجيب الكتاب بنفسه اي يأتي الى قصر منتكيوت ويشير على الدوق والدوقة بما يرى فيه مصلحتهما . فتراه واقفاً امامهما وبداه في جيبي بنطلونه وهو يملي الى ما يسرده عليه الدوق من وصف الامر المشكل وما يقوله الدوقة في تأكيد الوصف او تقوية ما رأت ضعفاً فيه الى ان يفرغا فيحكم لهما حكماً باتاً بكلمتين او ثلاث يحل بها المشكل ويزيل الريب. وكان يعترف للدوق والدوقة بسلامة الطبع وحسن الطوية والتضلع من المعارف النظرية ولكنه كان يحسبهما ولدين في تدبير الامور و يعاملهما مثل ولدين عن حب راسخ في نفسه لهما لا عن هوًى وتأثُّر

وجاء ايضاً لورد فالنتين ووالداه واخته لاذي فلورنتينا وكانت من الماهرات في ركوب الخيل . وكانت امة من الجميلات في عصرها اما وقد اذهبت الايام نضارتها فصارت تكتفي بان يقال لها انها سيدة الملاح وربة الازياء ولذلك كانت تبتسم لكل احد ثم اذا انفردت مع زوجها تهكمت على الجميع وشكرت الله لان اللورد اسكديل هناك والاّ ما وجدت احداً تستطيع ان تكلم معه كلمة. ثم جعلت تشكو من لورد منتجوى وزوجته لانهما على غناهما المفرط لا يعرفان مقامهما فيدعوان الى قصرهما كل احد ولو كان من عامة الناس وزد على ذلك ان لورد منتجوى غير مهذَّب واذا ضحك سمعت قهقهته من اقصى الغرفة وامرأته تقول "يا حبيبي" لكل من تكلم معه وتظهر استانها وهي تكلم

ثم انتقلت الى دوق كلارنس ولد وزوجته فقالت انهما لا يتكلمان الاّ اللغة الاسكتلندية فلا تستطيع ان تحادثهما وتبادل الافكار معهما. وانتقدت على المطران انه ادرد ومسالم لكل الطوائف فلا يهمه مذهب احد. وكان هناك مطران ثانٍ مشهور بعلمه وتقواه وقد دُعي ليضع يديه على لورد منتكيوت و يعلن بلوغه سن الرشد وهذا ايضاً انتقت منه وقالت ان محله ليس هناك

وكذلك مركيز همشير لم يحبها لانهُ يقضي عمرهُ في رئاسة المجامع العلمية والادبية وزوجتهُ مريضة وقد جرَّبت كل انواع الادوية وكلما ظهر دواء جديد جربتهُ واطنبت في مدحهِ الى ان يكتشف غيرهُ فتتركهُ وتستعمل هذا واخيرًا اقرَّت على فائدة العلاج بالماء

وقالت ان لورد عَمَّ لم يزل عزبًا مع انهُ شيب ويبلغ دخلهُ عشرين الف جنيه في السنة وهو من ابناء الجبان ولو تعلَّم الكياسة واللباقة لكان يصلح زوجًا لابنتها فلورنتينا . وما هي خمس واربعون سنة او ثمان واربعون اذا كان الرجل لا ينام باكرًا ولا يقوم باكرًا وكان يلبس اللباس الفاخر ويعرف كيف يعاشر السيدات ويسرّهنَّ ولكن لورد هَلْ جبلي الطبع شائب الشعر يلبس مثل النَّاس ويجلس على المائدة من غير ان يكلم السيدة التي بجانبهِ فلو نزل الى لندن ستة شهور في السنة وقضى ايام المراقع في باريس وزار حمامات المانيا لتدمثت اخلاقهُ اما الشيب فدواؤهُ سهل ولا يبقى مانع من اقتران بفلورنتينا

ثم التفتت الى بنية الجمع وقالت لزوجها انظر لا يوجد شاب فيهم من الامراء غير ابننا كان دوق بلامنت لا يعرف احدًا من الشبَّان ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يدخل ناديًا في حياتهِ وزوجتهُ لا تعرف احدًا منهم لانها لا تحبي الليالي الحافلة في قصرها ولا تذهب الى ليلة حافلة اذا دعيت اليها . اما بقية الشبان الذين هنا فرفاق الحاشية لا يزيد دخل اواحد منهم على ثمانية آلاف في السنة وهذا ليس ممَّا تراهُ لفلورنتينا . وكانت تراقب الضيوف وهم جلوس على المائدة وامامهم الصفاح والاكواب وكلها من الذهب الابريز فلا ترى احدًا يألفُ عينيها

الفصل الخامس

سرادق فخيم في حديقة القصر فيهِ اكثر من الفي نفس من اهالي منتكيوت وقد مُدَّت لهم مائدة فاخرة وعلى جوانبهِ سرادقات صغيرة مختلفة الالوان كل سرادق منها لقسم من اقسام تلك الايالة وقد ازدحم فيها خلق كثير رجالاً ونساء واولادًا والحجَّاب على الابواب يدعون كل احد ليدخل ويأكل ويشرب من غير حساب ثم يعينون لهُ موضعًا في الوليمة العمومية التالية . وكان اهالي كل قرية يدخلون الحديقة وحدهم وامامهم علَمٌ خاص بهم . وانتظمت الالعاب عند الظهر واشتدَّ ضرب الطبول والعزف بآلات الطرب

قال واحد من الخدَم لابيهِ وامهِ واخوتهِ واخواتهِ وكانوا قد اتوا من مكان بعيد لمشاهدة هذا الاحتفال ووقفوا امامهُ مدهشين من القصب على ثيابهِ ومسرورين بعز مقامهِ عند سيدهِ "ان الذي تروهُ الآن ليس شيئًا بالنسبة الى ما يرى في المساء فانكم سترون ناجًا وثلاثة الجم

واربعة يبارق واكيلين وكلها من المصابيح الملونة وترون مكتابة على القصر كل حرف منها ست اقدام وهي بالمصابيح ايضاً. وتضرم مئة نار مسافة خمسين ميلاً في لحظة واحدة . اما السهام والالعاب النارية فمما لم تروا مثلهُ . وقد سمعت انهم . . . ولكن الاحسن ان لا اقول ثم صمت. فقال لهُ ابوهُ لا احد منا يفتح فاهُ . وقالت امهُ الاحسن ان لا تقول لانني اخاف ان لا تكتم سرًّا . فو بختها بناتها على ذلك وطلبن من اخيهن ان يخبرهن . فقال بصوت منخفض لقد سمعتُ انهُ لم يصر للملكة نفسها احتفال مثل هذا الاحتفال فانهم عازمون ان يشعلوا من الانوار ما تظهر بهِ الارض كالسماء و يظهرون ابن مولانا على سحابة ويدهُ على قلبهِ

فقالت امهُ انا اعرف ابن مولاك قبلما فُطم فان امهُ ارضعتهُ من لبنها وهذا يدل على طيب قلبها لان التي لا ترضع ابنها ليس ابنها لها . وقال ابوهُ لبن الام يربي الرجال. وقالت احدى اخواتهِ بالله عليك دعنا نرى ابن مولاك . وقالت اختها الظنهُ اجمل الناس ولا سيما بحلتهِ الجديدة . فقالت لها امها لا تضحكوا عليَّ فانا لا اظن انهُ يوجد اجمل من ابني وهو بهذهِ الثياب المقصبة ولم يعد يهمني ان ارى غيرهُ . فقالت لها بناتها لا تقولي ذلك ولا بدَّ لنا من ان نقف في مكان نرى الزينة منهُ . فقال اخوهن قد اعددت لكم كل شيء فانا عينا مكانًا يقف فيهِ اقاربنا . فقالت امهُ ومتى يأتون بهِ ويمر من امام الجمع فقال هم الآن في نادي البلد وبعد قليل يطلق المدفع فيخرج بهِ ابوهُ وامهُ ومحافظ المدينة ووجوهها من النادي ويمرون من هنا والآن لا بدَّ لي من ان امضي

ثم أُطلق المدفع فخرج الموكب من نادي المدينة وسار الهوينا الى ان بلغ ابواب القصر والجموع تموج على جانبيهِ كامواج البحر فتقدَّم الى البهو الكبير وهو اقدم مباني القصر ومر منهُ الى غرفة كبيرة تليها غرف اخرى تسمى حسب الوان ما فيها من مناظر المخمل هذهِ الغرفة الخضراء وتلك الغرفة الحمراء وفيها كلها الصور الثمينة التي صوَّرها كبار المصورين ثم سار في الغرفة التي تجلس فيها دوقة بلامنت وهي من اخر غرف القصر باثاثها ورياشها وفيها صور الدوقات اللواتي كنَّ قبلها ومن الآنية والتحف ما يقصر القلم عن وصفهِ. ومنها الى غرفة منكيوت وفيها من ابدع الصور التي صورها لورنس الشهير صورة الدوق نفسهِ بُعيد زواجهِ وهو طويل القامة صبيح الوجه عالي الجبين تلوح عليهِ لوائح الدعة والمهابة. ثم الى غرفة الرقص وهي واسعة جدًّا جدرانها بيضاء محلاَّة بالذهب وعليها المرايا الكبيرة وفي سقفها ثريَّا من ثريات البندقية متألقة الانوار . وبعدها غرفة في وسطها تمثال من تماثيل كوفا وفيها الغلمان بالحلل المقصبة ولها باب واسع فتح للموكب واذا امامهُ رواق طولهُ مئة قدم وجدرانهُ غطاة

بصور فتن الحروب الصليبية لان دوق منتكيوث كان من اشهر الابطال في تلك الحروب وهو الذي انقذ ريكاردس قلب الاسد ملك انكلترا في حصار عسقلان ولذلك يسمى رواق الصليبيين

وكان في آخر هذا الرواق قبة عالية وقف تحتها الدوق وزوجتهُ وابنهما ووقف حولهم ذوو قرباهم وبقية الاعيان والاشراف فتقدم نحافف البلد واعيانها ورفعوا لهم خطاب التهانئ بالنيابة عن المدينة التي بناها اسلافهم وحموا حماها ودافعوا عنها وهم يملكون كل بيت من بيوتها وهم الفضل على كل نفس من اهلها

وكان الدوق واقفاً في الوسط وزوجتهُ عن يساره وابنهُ عن يمينه وهو ربعة معتدل القوام غزير الشعر اصفر الوجه عالي الجبين يدلُّ منظرهُ على الحزم وعلو الهمة . ولم يبدُ عليه شيءٌ من علامات الاضطراب ولا من الاستخفاف والاعجاب كأنهُ عارف بخطارة الموقف الذي هو فيه ولكنهُ ليس من الذين يخضهم الطرب وتأخذهم الخيلاء ستأتي البقية

باب الزراعة

زرع القطن وتسميدهُ

نشر المستر فودن سكرتير الشركة الزراعية المصرية مقالة مسهبة في مجلة تلك الشركة عن زرع القطن وتسميده وفي مثل كل ما يكتبهُ في المواضيع الزراعية طافحة بالفوائد العملية ولذلك رأينا ان نلخصها هنا افادةً لقرَّاء المقتطف

بدأ الكلام بالاشارة الى اهتمام الاميركيين بالبحث عن تسميد القطن وقال ان من يعلم ذلك و يرى التقارير المطوَّلة فيهِ يعجب من قلة الاهتمام بالبحث عن تسميد القطن في القطر المصري . ولكن الاسلوب المتبع في هذا القطر وهو زرع القطن بعد البرسيم في الارض هو احسن ما تعدُّ بهِ لزرع القطن على شرط ان لا يكرَّر زرعهُ فيها مرارًا وان تجاد خدمتها . فانها تكون حينئذٍ مزدوجة بمواد نباتية تنحلُّ فيها سريعاً وتصير غذاء لنبات القطن . فلذلك ولكون الارض التي يزرع فيها القطن شديدة الخصب طبعاً كما هي غالباً لا يبقى داعٍ لتسميدها

الاَّ ان الاحوال قد تغيرت حديثاً فقد كان ماء النيل يغمر الاطيان كلها في الوجه البحري وتشبَّعها فيضانهُ فيرسب عليها منهُ طبقة من الطمي يزيد بها خصبها ولا يبقى بها حاجة